



الفصل الأول

مفهوم الإبداع

■ مقدمة

■ مراحل تطور مفهوم الابداع

- المرحلة التاريخية الاولى.
- المرحلة التاريخية الثانية.
- المرحلة التاريخية الثالثة.

■ تعريف الابداع

- التعريفات التي تناولت الانسان المبدع.
- التعريفات التي تناولت المناخ الابداعي.
- التعريفات التي تناولت العملية الابداعية.
- التعريفات التي تناولت الناتج الابداعي.

■ محكات اختيار المبدعين

■ محك الشهرة التاريخية.

■ محك احكام الخبراء.

■ محك غزارة الانتاج.

■ محك المصادر الثانوية.

■ محك الاداء على اختبارات الابداع.

■ الملاحظة المباشرة.

مقدمة

حظي موضوع الإبداع بـاهتمام واسع في الوقت الحاضر، لا سيما وأن المجتمعات تسير في خطى حثيثة من أجل تقدمها، وعبر هذه المسيرة لا بد من ظهور مشكلات اجتماعية واقتصادية وعلمية، تحتاج إلى جهود وإنجازات الأفراد المبدعين في كافة مجالات النشاط الإنساني وفي كافة أنحاء العالم.

وفي عالمنا العربي نحن بحاجة ماسة إلى الإستفادة من طاقاتنا البشرية المبدعة لمواجهة القضايا والمشكلات المختلفة، واقتراح الحلول البديلة للتعامل مع هذه القضايا من منظور إبداعي معاصر ومتجدد، ضمن رؤى شاملة تنبثق من إحساس عميق بحجم التحديات الموجودة.

ولعل قلة عدد المبدعين العرب الحاصلين على جوائز عالمية مقارنة بمبدعي المجتمعات الغربية في مختلف المجالات، أحد المؤشرات الهامة على ضرورة زيادة الاهتمام بمبدعينا من خلال التعرف عليهم بصورة شاملة ودقيقة، وتهيئة الفرص الملائمة لدعم وتطوير الشخصية العربية المبدعة.

ولقد تنبّهت الدول المتقدمة مبكراً لهذا الموضوع وازداد اهتمامها بدراسة ظاهرة الإبداع "Creativity" الذي يعتبر أرقى النشاطات العقلية، التي يتطلبها بناء الحضارة الإنسانية.

وبالرغم من الإهتمام القديم بالإبداع، إلا أن دراسته دراسة علمية تتسم بالموضوعية والمنهجية العلمية لم تحدث إلا في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، وفق الملامح التالية:

- في البدايات لفتت دراسات جالتون (Galton) حول الأفراد العباقرة انتباه العلماء إلى هذه الفئة، حيث قام لامبروز (Lambroze) في عام 1891 بنشر نتائج دراسته حول الرجل العبقرى، والتي أشار خلالها إلى أن التفوق أو العبقرية حالة غير عادية، ترتبط بخصائص جسمية معينة كقصر القامة، ونحول الجسم، والتلعثم في الكلام والتأخر في النمو.

- في القرن العشرين، أجرى تيرمان (Terman) أول دراسة علمية وشاملة بلغ عدد أفراد عينتها (1528) فرداً من المتفوقين عقلياً، بهدف دراسة واكتشاف خصائصهم الجسمية والعقلية والانفعالية والاجتماعية، التي تميزهم عن غيرهم. وتعتبر دراسة "تيرمان" من أقدم وأهم الدراسات التي تناولت خصائص المبدعين والمتفوقين بشكل شامل وعميق، فقد طرأ تطور كبير في فهم الظاهرة الإبداعية، نتيجة الاهتمام المتزايد للباحثين والدارسين وعلماء النفس والتربية، وإدراكهم لأهمية دراسة خصائص الأفراد المبدعين والموهوبين والتعرف إليهم، استجابة إلى الحاجة الملحة والماسة لهؤلاء الأفراد، والتي أملت لها متطلبات التطور التكنولوجي والتسارع العلمي التي تسود العالم، وأدى ذلك إلى إخضاع الظاهرة الإبداعية لمنهجية البحوث العلمية والتجريبية، حيث تمكن عدد من رواد علم نفس الإبداع من تطوير أدوات خاصة لقياس الإبداع والكشف عنه، بالإضافة إلى تطوير عدد من البرامج الخاصة بتحفيز الإبداع، وتطويره في المجتمعات الصناعية المتقدمة، مما أحدث تحولاً جذرياً في برامج المؤسسات التعليمية التي تهدف إلى تنمية الإبداع لدى الأطفال والشباب. وظل مفهوم الإبداع غامضاً ومحيراً للعديد من العلماء والباحثين، وأثار بذلك عدداً من التساؤلات الجادة التي تسعى لكشف ما يوحى به هذا المفهوم، ويتضح ذلك من خلال رصد المراحل التاريخية الرئيسية التي مر بها تطور مفهوم الإبداع وفق الآتي:

مراحل تطور مفهوم الإبداع

- 1- المرحلة التاريخية الأولى، تميزت هذه المرحلة بالملامح التالية:
 - ساد الخلط بين عدد من المفاهيم كالإبداع، والعبقرية، والذكاء، والموهبة، والنبوغ المبكر.
 - ظهور الاعتقاد بالقوى الخارقة الخارجة عن سيطرة الإنسان والتي تحرك الإبداع والعبقرية.
 - التأكيد على دور الوراثة والقطرة في انتقال الإبداع عبر سلالات معينة.
- 2- المرحلة التاريخية الثانية: بدأت مع نهايات القرن التاسع عشر وتميزت بالملامح التالية:

- ظهور عدة نظريات سيكولوجية حاولت تفسير الظاهرة الإبداعية.
 - تطور أساليب القياس النفسي.
 - حدوث تقدم ملحوظ في التمييز بين مفاهيم الإبداع والموهبة.
 - اختفاء عملية الربط بين الإبداع والغيبيات والخرافق.
 - الاعتراف بأهمية العوامل الوراثية والبيئية معاً.
 - تطوير بعض أدوات القياس والبرامج التعليمية الخاصة بالمبدعين، لا سيما في مجال الأعمال الصناعية والتجارية.
 - 3- المرحلة التاريخية الثالثة، بدأت في منتصف القرن العشرين وامتدت حتى العصر الحالي، وتميزت بالملامح التالية:
 - ظهور عدد من النظريات الجديدة، كنظرية القياس النفسي للإبداع والنظرية المعرفية في الإبداع.
 - اعتبار الإبداع قدرة موجودة لدى جميع الأفراد وتتنوع وفق منحى التوزيع السوي للقدرات العقلية.
 - تطوير عدد كبير من المقاييس والاختبارات والبرامج التربوية والتعليمية.
 - تقدم وتطور البحوث والدراسات التجريبية الخاصة بالإبداع.
- وبالرغم من العدد الكبير من الدراسات والأبحاث التي تناولت الظاهرة الإبداعية خلال الفترة الماضية، وبالرغم من اتساع المعرفة حول هذا الموضوع خلال المراحل التي مر بها التطور التاريخي للإبداع، إلا أنه لم يتم الوصول إلى تعريف متفق عليه لهذا المفهوم، فمنهم من عرفه بناء على المناخ الذي يقع فيه الإبداع، كعلماء الاجتماع وعلماء الإنسان، أما علماء الشخصية، فاعتُبروا الإنسان محور العملية الإبداعية، وعرفوا الإبداع إعتماً على الإنسان المبدع وخصائصه الشخصية والتطورية والمعرفية، في حين قام علماء النفس المعرفيون بتعريف الإبداع إعتماً على تفاصيل العملية الإبداعية ومراحلها وظروفها.

تعريف الإبداع

كان لتعدد وتباين وجهات النظر التي تناولت مفهوم الإبداع دور رئيسي في تعدد وتباين تعريفات الإبداع، فكل تعريف كان يركز على أحد جوانب العملية الإبداعية أكثر من غيرها، ولقد أشار التعريف القاموسى للإبداع إلى أنه:

- "القدرة على تطبيق أفكار أصيلة لحل المشكلات وتطوير نظريات وأساليب جديدة، أو إنتاج أشكال فنية أو أدبية أو فلسفية أو علمية".

ولقد تحدث علماء التربية وعلم النفس وعلم الاجتماع عن الإبداع كل ضمن منظوره الفلسفي الخاص، وفي ما يلي نماذج من هذه التعريفات، وفقاً للمكونات الإبداعية التي تم التركيز عليها، وهذه المكونات هي الإنسان المبدع والعملية الإبداعية ومناخ الإبداع والنتائج الإبداعي.

- أولاً: التعريفات التي كان محورها "الإنسان المبدع"، والتي ركزت بمجملها على الإنسان المبدع بما يميزه من خصائص وسمات، نذكر منها:

- تعريف جيلفورد (Gilford): الإبداع مجموعة من السمات الاستعدادية المتنوعة التي تضم: طلاقة التفكير ومرونته والأصالة والحساسية للمشكلات وإعادة تعريف المشكلة وإيضاحها بالتفصيلات، وهي بمجملها قدرات يمكن تصنيفها تحت مظلة التفكير الناقد.

- تعريف سمبسون (Sempson): الإبداع قدرة الفرد على التخلص من السياق العادي للتفكير واتباع نمط جديد ومختلف من التفكير.

- تعريف ديفز (Davis): الإبداع نمط للحياة، وسمة للشخصية، وطريقة لإدراك العالم، والحياة الإبداعية تطوير لمواهب الفرد واستخدام قدراته، وكي يكون الفرد مبدعاً فهذا يعني استنباط أفكار جديدة، وتطوير حساسية عالية تجاه مشاكل الآخرين.

- ثانياً: التعريفات التي كان محورها "الإنتاج الإبداعي"، وركزت على خصائص المنجزات والنواتج الإبداعية في شتى المجالات، ومن الأمثلة على هذه التعريفات:

- تعريف بيرس (Peirs): الإبداع هو قدرة الفرد على تجنب الروتين العادي والطرق التقليدية في التفكير لإنتاج ما هو أصيل وجديد وغير شائع وقابل للتنفيذ والتحقيق.

- تعريف روجرز (Rogers): الإبداع ظهور لإنتاج جديد نابع من التفاعل بين الفرد ومادة الخبرة.
- تعريف شتاين (Stain): الإبداع إنتاج الجديد والمقبول والنافع الذي يحقق رضا مجموعة كبيرة ضمن فترة زمنية معينة.
- ثالثاً: التعريفات التي تمحورت حول "عملية الإبداع"، وركزت على العمليات العقلية التي يقوم بها الفرد للوصول إلى الناتج الإبداعي، ومن هذه التعريفات:
- تعريف تورانس (Torrance): الإبداع عملية تشبه البحث العلمي، وتتضمن الإحساس بالمشاكل والثغرات في المعلومات، وتشكيل أفكار أو فرضيات، ثم اختبار هذه الفرضيات وتعديلها حتى يتم الوصول إلى النتائج.
- رابعاً - التعريفات التي ركزت على "مناخ الإبداع"، معتبره أن الفرد المبدع لا بد أن يتوافر له بيئة محفزة ومناخ مناسب، ينميان الإبداع ويطورانه ويحفزانه على الظهور، وهذا يتطلب بيئة داعمة ومناخاً غنياً وثريراً بالخبرات لدعم الإبداع والمبدعين، ويرى المفكرون والباحثون الذين يؤكدون على أهمية المناخ الإبداعي أن الإبداع ظاهرة اجتماعية ذات محتوى حضاري وثقافي، والفرد المبدع هو ذلك الذي يترك أثراً في مجتمعه.

إلا أن التعريف الأشمل والأوضح هو الذي تناول المكونات الأربعة مجتمعة فأشار إلى الإنسان المبدع والعملية الإبداعية والمناخ الإبداعي والناتج الإبداعي، وهو تعريف الدكتور فتحي جروان، الذي اعتبر أن الإبداع:

"مزيج من القدرات والاستعدادات والخصائص، التي إذا ما وجدت بيئة مناسبة، يمكن أن ترتقي بالعمليات العقلية لتؤدي إلى نتائج أصلية ومفيدة سواء بالنسبة لخبرات الفرد السابقة أو خبرات المؤسسة أو المجتمع أو العالم، إذا كانت النتائج من مستوى الاختراقات الإبداعية في أحد ميادين الحياة الإنسانية".

محكات اختيار المبدعين

لمعرفة كيفية الوصول للفرد المبدع والحكم على ناتجه الإبداعي، كان لا بد من وجود معايير أو محكات معينة، تساعد المختصين والدارسين لتحديد من هم الأفراد المبدعون،

ومن أشهر هذه المحكات تلك التي أوردها الدكتور جروان في كتابه حول الإبداع، والتي تناولت الشهرة التاريخية وغازرة الإنتاج والملاحظة المباشرة، وفي ما يلي توضيح لهذه المحكات.

● أولاً: محك الشهرة التاريخية

يعتبر محك الشهرة التاريخية الأشهر بين المحكات، ويتم من خلال هذا المحك اختيار الأشخاص الذين اكتسبوا بإبداعاتهم شهرة عالمية، بشرط أن تكون هذه الشهرة قد صمدت وأثبتت جدارتها عبر السنين، ومن الأمثلة على هؤلاء المبدعين المتنبى وابن الهيثم والخوارزمي وابن خلدون وابن سينا وشعراء المعلقات ودافنشي وشكسبير ونيوتن وغيرهم، ويعتمد هذا المحك على:

- دراسة الحالة: وتمثلها نماذج دراسة الحالة العديدة والمتوفرة، التي يعتمدها الباحثون في دراساتهم.

- التشريح المعمق للشخصية: وهذه الطريقة أعمق وأكثر تحليلاً من سابقتها، وتمثلها دراسة عباس محمود العقاد لشخصيات عبقرية، وأهمها عبقرية محمد (ﷺ).

ولهذا المحك عدد من السلبيات، من أهمها:

- عدم وجود منهجية واضحة أو محددة تساعد الباحث في اختيار المبدعين.
- المعلومات التي توفرها دراسة الحالة عن المبدعين، ليست كافية وليست شاملة، إنما تتناول الجانب الذي ينسجم مع الإطار النظري الذي اتبعه الباحث في دراسته، فالتحليليون يركزون على الطفولة والعلاقة مع الأم ويتجاهلون بقية الجوانب، أما المعرفيون فيركزون على العوامل المعرفية ويهملون العوامل الشخصية، وهكذا....
- جمع المعلومات حول الأشخاص المبدعين الذين فارقوا الحياة، يقتصر على المصادر الثانوية، وهذا يعني نقص الدقة بسبب اختلاف وتباين الأشخاص الذين يزودون الباحثين بالمعلومات.
- نقص الموضوعية في المعلومات حول خصائص المبدع، ويمكن عزو ذلك إلى أحد الأسباب التالية:
- التذكر الاختياري: المبدع ينتقي ما يتذكره عن نفسه بحيث لا يشوه ذاته، ويعلم فقط

عن الخصائص الإيجابية والأحداث التي تخدم صورته المثالية.

- أثر الشهرة: لا يمكن الجزم أو التأكد بأن خصائص الشخصية لم تتأثر بفعل الشهرة والتقدير، وعندها يصبح مجال الخلط وعدم القدرة على التعرف على الخصائص الأصلية للشخصية وتمييزها عن خصائص ما بعد الشهرة أمراً صعباً.

وبالرغم من السلبيات السابقة، إلا أن محك الشهرة التاريخية يوفر معلومات ذات قيمة، يمكن الاستفادة منها، والتوصل إلى استنتاجات قابلة للتعميم، خصوصاً عندما تتطابق أو تتسجم هذه المعلومات مع عدد من دراسات الحالة لنفس الشخص.

● ثانياً: محك أحكام الخبراء

يتم من خلال هذا المحك التعرف على العوامل النفسية التي يختلف بها الأفراد المبدعون عن الآخرين، وغالباً ما يستخدم مع هذا المحك محكاً آخر مثل المصادر الثانوية، لغايات التأكد والتيقن من صحة الاختيار، بحيث يقوم بهذا الاختيار الخبراء المتميزون في خبرتهم ومعرفتهم واتساع مداركهم وسعة اطلاعهم، ويمثل هؤلاء الخبراء الأساتذة الأكاديميون في الجامعات والمعاهد العليا، أو الكتاب والنقاد، أو المدراء واصحاب القرار، أو منتسبو الجمعيات العلمية المتخصصة، وغيرهم من أصحاب الاختصاص وذوي الشأن والعلاقة، ويتضمن هذا المحك الأساليب التالية:

- الترشيح: ويتم ذلك من خلال تسمية عدد من الأشخاص الأكثر إبداعاً في مجالهم التخصصي.
- التقدير: ويتم من خلال تعبئة مقياس للتقدير، يتناول الأصالة والمرونة والتخطيط وغيرها من المهارات العقلية ذات العلاقة بالإبداع.
- الترتيب: ويتضمن ترتيب المبدعين المرشحين ترتيباً تنازلياً من الأعلى للأدنى، اعتماداً على مدى ودرجة إسهام كل منهم في مجال تخصصه.

وفي ما يتعلق بإيجابيات هذا المحك فهي كما يلي:

- يمكن استخدام هذا المحك مع الأشخاص الأحياء المنشغلين بدراساتهم وبحاثهم وأعمالهم، والمرشحين ليكونوا من المبدعين مستقبلاً.

- يتيح الفرصة للباحثين للتعرف على العناصر أو الجوانب التي يركز عليها الخبراء في ترشيحاتهم للأشخاص المبدعين.

ومن الجدير بالذكر أن هذا المحك يجب أن يتم التعامل معه بحذر وانتباه، لضمان عدم تحيز الخبراء وصدقهم ونزاهتهم، فهم الحَكَم في مثل هذه الحالات، ويجب أن يتسموا بالموضوعية والحياد ما أمكن، تحقيقاً لأقصى قدر من الدقة في إصدار الأحكام على المبدعين.

● ثالثاً: محك غزارة الإنتاج

يركز هذا المحك على الجانب الكمي لأعمال أو إنجازات المبدع، ويعتمد على عدد براءات الإختراع المسجلة باسم المبدع في بلده أو بلدان أخرى، أو عدد ما نشر من الروايات أو الدواوين الشعرية أو القصص القصيرة، أو عدد المنحوتات التي أنجزها، وهكذا.

إلا أن الجانب الكمي للحكم على إبداعية الشخص لا يوفر وحده معلومات صحيحة بالضرورة، ومثال ذلك الكاتبة "مارغريت ميتشل"، التي كتبت روايتها الوحيدة "ذهب مع الريح"، واعتبرت الرواية الأهم تاريخياً، وتم إنتاجها كفيلم سينمائي عام 1939، وحقق الفيلم 8 جوائز أوسكار، وعرض في جورجيا، في 15 ديسمبر 1939، وتم تخصيص احتفالات دامت ثلاثة أيام، واشتملت على حفلات استقبال، وآلاف الرايات الخاصة بالفيلم، والصور المعلقة على المنازل والمحلات، وأعلن حاكم جورجيا يوم 15 ديسمبر إجازة للولاية. وذكر الرئيس الأمريكي الأسبق "جيمي كارتر" الحدث على أنه "أكبر حدث في حياته"، وأصبح الفيلم أعلى الأفلام مدخولاً في التاريخ، وفي 1998 صنّفه معهد الفيلم الأمريكي في المرتبة الرابعة في قائمته لأعظم مائة فيلم، واختير لحفظه في سجل الأفلام الوطنية في الولايات المتحدة الأمريكية، حيث أعيد ترميمه بالكامل رقمياً، وفي عام 2005 صنّفت موسيقى "ماكس شتاينر" للفيلم على أنها ثاني أعظم موسيقى تصويرية في التاريخ، كل ذلك كان بسبب (رواية وحيدة) لم تكتب "مارغريت ميتشل" غيرها طوال حياتها.

● رابعاً: محك المصادر الثانوية

يوفر هذا المحك معلومات عن المبدعين عن طريق الموسوعات والمعاجم التي تناولت حياتهم، ومن أهم العلماء الذين درسوا المبدعين وفق هذا المحك "جالتون" و"لهمان" و"ماكينون"، وتالياً نبذة سريعة عن هذه الدراسات المرتبة زمنياً من الأقدم للأحدث: